أكثر من مرة . سوف نرى مايدهشنا أحيانا . ابن الرومى يعبد الحياة . ويحيا مع الطبيعة ، ويلتقط الصو و الأشكال ، ويشخص المعانى ، ويقدم الجمال على الخير ، أو يحب الخير لأنه لون من الجمال . ابن الرومى ينظر الى الدنيا نظرته الى المعرض المنصوب للتملى والمتعة لا نظرته إلى الحصن المغلق أو الصومعة الموحشة أو غير ذلك من نظرات الأجبال والأديان .

هذه الكلمات لاتخلو من أهمية . لعلك لاحظت أولا أن العقاد يومىء إلى تصورات بعض الشعراء للطبيعة ذات الظاهر البراق المتفتح الزاخر بالألوان والأصباغ . يرى هذا كله خادعا عن حقيقته ، وحقيقته أقرب الى الصومعة الموحشة أو الحصن المغلق . نعم فالولع المتواتر بالأشكال والألوان الذى أقلق العقاد قد كشف عن نفسه فى هذه الكلمات . حقيقة هذا الولع هى الإغلاق والوحشة . والإغلاق والوحشة معا لايمكن أن يستهويا العقاد الباحث المتأمل فى النهضة دون احتياط . العقاد الناقد هو العقاد الذى يبحث عن رمز الطفل أو رمز النابغة . واقرأ فقرة العقاد السابقة فى شىء من التأنى . واقرأ تعليقاته على النصوص فسوف تجد شغف الطفولة الذى يلتبس فى ذهن العقاد بالنبوغ أو التفرد .

وأنا أرجو أن أعيد قراءة فقرات أخرى فى تمييز العقاد بين ألوان من حب الحياة . من الناس من يحب الحياة كأنه مسوق إلى حبها ، ومنهم من يحبها كأنه مأجور على عمله ، ومنهم من يحبها حب العاشق الذى يختار معشوقه أو يستوى عنده الحب على القسر والحب على المشيئة لأنه يريد ما يقسر عليه ، ويأبى أن يفرض للفراق وجودا أو يتوقع لهواه تغييرا ؛ فهو سعيد بأن يحب ، وأن يسمح له بأن يحب ، وهو يحب الحياة لأنه حى لا موت فيه ، ولا عمل لكل حاسة من حواسه إلا أن تحس وتحيا ، وتستجد إحساسا وحياة ، ولاتشبع من الإحساس والحياة .

هكذا كان ابن الرومى يعبد الحياة عبادة لايبتغى عليها أجرا غير ما يبتغيه خلص العابدين ، فكان حبا كله لا مكان فيه للموت إلا الخوف منه والتفكير فيه .

لاتستطيع أن تهمل هنا حرص العقاد على طائفة من النوازع والخلجات . ولاتستطيع أن تهمل فكرة اليقظة والولاء للحياة . ولاتستطيع أن تهمل فى الوقت نفسه رمز الطفل . رمز الطفل ينقى حب الحياة من شوائب غير قليلة . رمز الطفل هو وسيلة العقاد وغايته أحيانا حين يأخذ فى صميم الوجدان وهو الحرية . كان العقاد فى بحثه